احمد النميشي

اضافة ومناقشة

احمد زيادي

في البداية، ابدي اعجابي بالنهج الأصيل الذي ارتأت مجلة (الثقافة الجديدة) ان تنهجه ؛ وهو نَفْضُ الغبار عن بعض تراثنا المغربي الحديث، والتذكير به، او التعريف به ونشره. وتلك خطوة أولى لدراسته وتقويمه، تمهيدا لكتابة تاريخه الذي لا يعرف منه الا النزر اليسير، والنبذ القليل.

وقد اطلعت في العدد الأخير (23)، من المجلة، على القسم الأول من كتاب (تاريخ الشعر والشعراء بفاس) لاحمد النميشي، وقرأت ما كتبه الأخ محمد بنيس تقديما له، وشئت ان اسهم في التعريف بالكاتب والكتاب، بهذه المعلومات الموجزة، وهي مستقاة من ترجمة لأحمد النميشي، نشرت بجريدة (السعادة) تحت عنوان : (ترجمة العلامة الاديب : السيد احمد النميشي)، مع صورته، لكاتب لم يثبت اسمه، ولعله محرر الجريدة المذكورة، او احد مساعديه. وذالك بالعدد 5005، المؤرخ ب 17 يوليوز 1940 ص 1، 2، بمناسبة عزم المترجم على القاء محاضرة في الغداة (1940/7/18)، لم تشر الجريدة الى موضوعها، ولم اتمكن من التعرف عليه خارجها، ولعله يدخل ضمن تلك المحاضرات الاذاعية التي كانت تنظمها الاقامة العامة، وتفسح لنشرها والدعاية لها عبر امواج الاذاعة، وعلى صفحات جريدة (السعادة)،أيام هزيمة فرنسا أمام ألمانيا النازية.

وكان بودي، قبل كتابة هذه السطور، ان اعود الى بعض المراجع التي يفترض فيها ان تكون قد ترجمت للاديب احمد النميشي، مثل : (زبدة الاثر مما مضى من الخبر، في القرن الثالث والرابع عشر) ومختصره (اتحاف المطالع، بوفيات رجال القرن الثالث عشر والرابع) وهما مخطوطتان للمرحوم عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري، صاحب (دليل مؤرخ المغرب الأقصى)، غير اني لم اتمكن من ذلك.

اولا ترجمة احمد الفيشي : (1308 ه / 1890 م ــ 1387 ه / 1967 م).

أ ــ نسبه : هو احمد بن المفتي الأكبر محمد (فتحا) ابن الاستاذ محمد بن احمد بن المختار بن القاضي، الادريسي الحسني نسبا، الفيشي لقبا، التلمساني الاصل، الفاسي المنشأ والاستيطان والدفن.

ب ــ تعليمه وشيوخيوخه : تربى في حجر والده، وقرأ بعض القران الكريم على عم والده محمد الاطرشي، وفي اواخر سنة 1326 انخرط في زمرة العلم بالقرويين، فلازم دروس كثير من مشايخها مثل :

1 ــ محمد (فتحا) الابراري رفيق والده (ــ 1329).
2 ــ أبي الفضل عبد السلام غازي قاضي طنجة، المتوفى بها سنة 1352.
3 ــ أبي العباس احمد بن الخياط، رئيس المجلس العلمي الأسبق.
4 ــ احمد بن الجيلالي رئيس المجلس العلمي السابق.
5 ــ مولاي عبد الله العلوي الفضلي، رئيس المجلس المذكور.
6 ــ أبي زيد عبد الرحمن بن القرشي قاضي فاس ووزير العدلية (ــ 1939)
7 ــ أبي العباس مولاي احمد بن المامون البلغيثي (ــ 1348)
8 ــ أبي شعيب الدكالي (ــ 1356 / 1937)
9 ــ محمد بناني.

«هؤلاء هم الذين لازمهم، وتربع في حلقهم المدة الطويلة، وهناك كثير من اهل الفضل والعلم حضر في مجالسهم، واغترف من حياض معارفهم وتلقى منهم غُرَراً ودُرَراً» (1) مثل :

1 ــ القاضي عبد السلام الهواري.
2 ــ محمد بن قاسم القادري.
3 ــ الناسك التهامي بن المدني كنون (ــ 1331)
4 ــ عبد الصمد بن التهامي كنون (ــ والد العلامة عبد الله كنون).
5 ــ الفاطمي الشرادي.
6 ــ محمد بن رشيد العراقي (ــ 1348)
7 ــ القاضي ابى فارس عبد العزيز بناني.
8 ــ المحدث الناسك ابى عبد الله محمد بن جعفر الكتاني.
9 ــ عبد الحي الكتاني.
10 ــ محمد بن العربي العلوي
11 ــ الرضى السناني.

12 ــ محمد به عبد الحي القصبي (ــ1364 / 1945).

ت ــ اجازاته :

1 ــ في المغرب : أجازه احمد بن الخياط، والمكي البطاوري الرباطي (ــ1354 / 1936) عند قدومه لفاس.

2 ــ في المشرق : اثناء سفره لأداء فريضة الحج سنة 1351 :

في القاهرة : أجازه مشافهة مفتيها وعالمها الشيخ بخيت، وأجازه كتابة احد مسنديها، والشيخ طنطاوي جوهري صاحب التفسير الشهير.

في مكة : اجازه مشافهة الشيخ عبد الستار الهندي والشيخ عمر حمدان التونسي.

في المدينة : اجازه كتابة الشيخ العمري الجزائري، والشيخ صالح بن الفضيل التونسي.

ث ــ وظائفه :

انقطع عن الدراسة سنة 1336، لينخرط في سلك الوظائف بصفة عدل بنظارة احباس المارستان بفاس (المعروف الان بسوق سيدي فرج، قرب الضريح الادريسي).

وفي سنة 1349 رقي لنظارة احباس صفرو لمدة ثلاثة اعوام، رقي بعدها لنظارة احباس الجديدة ومضافاتها لمدة ستة اعوام.

وفي أوائل 1940 عين ناظرا لاحباس المارستان بفاس.

ورغم انقطاعه عن الدراسة، واشتغاله بالوظيفة، قد ظل يقوم بجهود ادبية كبرى، ف : «خلال هذه المدة كان يرقى في المراتب العلمية من مرتبة الى اخرى، اذ أدخل للمرتبة الرابعة سنة 1333، اثر امتحان اجرى له ولبعض نبغاء التلاميذ اذ ذاك أمام اعضاء المجلس العلمي وقتئذ، وبعد ذلك بقليل رقي للمرتبة الثالثة، ومنذ سنتين نظمته وزارة العدلية في سلك اهل المرتبة الثانية»(2).

ج ــ بعض اخلاقه :

ومما عرف عنه انه : «كان في سائر الولايات التي وليها، مثال الموظف القدير النشيط والنزيه، يقوم بالاعمال التي يختمها عليه وظيفه مع لين عريكة وحسن خلق، ومجاملة للناس، بحيث لم ير طول مدة خدمته مشكلة بين الأحباس والناس»(2).

ثانيا الكتاب :

يبدو أن كتاب (تاريخ الشعر والشعراء بفاس) الذي نشرت مجلة (الثقافة الجديدة)

قسمه الأول، والذي استغرب الاخ بيس في تقديمه له خطأ الاستاذ ابراهيم السولامي في كتابة عنوانه : «اذ حصره في الشعر والشعراء بفاس» فيما هو «تاريخ الشعر والشعراء بفاس»(3)، يبدو انه ليس هو الآخر الا تلخيصا لتأليف اكبر واشمل منه.

يقول كاتب الترجمة ــ والتشديد مِنّي ــ :

— — —

«فقد وضع تأليفا **كبيرا** في تاريخ الشعر والشعراء بفاس، منذ اسست الى الان، **لايزال في مُسَوَّدته**، ومنه **اختصر** مسامرته التي القاها بنادي المحاضرات من المدرسة الثانوية الادريسية بابي الجنود سنة 1334»(4).

وصُدِّر كتاب (تاريخ الشعر والشعراء بفاس) بهذه العبارة :

«وهي المسامرة التي ألقاها..»

وذكر محمد بن العباس القباج في كتابه (الأدب العربي في المغرب الاقصى) أن براعة القيشي في النثر يُدْرَك : «اثرها من كتابه تاريخ **أدوار** الشعر والشعراء بفاس»(5).

ويستفاد من هذه النصوص :

1) ان استعمال كاتب الترجمة للفظة (**كبير**) ليس للدلالة على كتيب يقع في 97 ص، وهي الصفحات التي يشتمل عليها كتاب (تاريخ الشعر والشعراء بفاس)، الذي شرعت مجلة (الثقافة الجديدة) في نشره.

2) ان عبارة (لا يزال في مسودته) المكتوبة في يوليوز 1940، تعني ان اصل الكتاب مسودة كبيرة، ليست هي الكتيب المنشور سنة 1924.

3) ان الكتاب المنشور بعنوان (تاريخ الشعر والشعراء بفاس) هو مختصر لذلك التأليف (الكبير) الذي (لايزال في مسودته) حتى يوليوز 1940، اختصر ليلقي محاضرة ثم طبع على صورته التي لخص بها. وتلك ظاهرة معهودة في التأليف المغربي والعربي، قد يقوم بها المؤلف نفسه مثل كتاب (ازالة الالتباس عن قبائل سكان مدينة فاس) لعبد السلام بن سودة وتلخيصه (قطف ازهار الآس، من روض ازالة الالتباس). و (تاريخ تطوان) المطول و (مختصر تاريخ تطوان) للاستاذ محمد داود.

وقد يقوم بالتلخيص غير المؤلف مثل : (الاغتباط بتراجم اعلام الرباط) لمحمد بوجندار الذي لخصه محمد بن محمد بن الموقت المراكشي بكتيب عنونه ب (الانبساط بتلخيص الاغتباط)...

4) استبعد ان يكون الكتاب الاصل بنفس عنوان التلخيص/ المسامرة المنشور، وذلك لضرورة التمييز بينهما، كما جرت العادة، وكما هو واضح من الأمثلة الواردة في الفائدة الثالثة اعلاه. وأرجح ان عنوان الكتاب الأصل الذي لايزال مسودا، هو (تاريخ ادوار الشعر والعشراء بفاس)، وهو العنوان الذي ذكره القباج، وقد كان اقرب الى الكتاب، وبه أعرف من كل الذين كتبوا عنه.

والذي يزيد هذا الترجيح عندي، هو ان القباج لم يذكر الكتاب بعنوان (تاريخ الشعر والشعراء بفاس)، ولعله اثر ذكر العنوان الأم على ذكر عنوان التلخيص الذي كان حديث الطبع آنئذ (صدر في 1924، وكتاب القباج في 1929)، ولا يمكن ان يوصم القباج بالغلط، ولا ان يتهم بعدم الاحتراز، ولا ان يرمى بقلة التحري، وهو ناقد عصره الفذ، خاصة وموضوع القسم الثاني من كتاب النميشي المختصر ومنهجه فيه هو نفس موضوع كتاب القباج ومنهجه، مع اختلاف غير كبير في مضامين التراجم واشكالها، وكميات المختارات المثبتة للمترجمين. بل لعل القباج اهتم بكتاب النميشي اكثر من غيره من المثقفين المغاربة المعاصرين له، لانه، في ما أعلم(6)، اول كتاب مغربي مطبوع في موضوع تاريخ الشعر المغربي. وأكاد اجزم انه كان من اهم الحوافز التي دفعت القباج الى تأليف كتابه(7).

قبل الختام اود ان اشير الى ثلاث ملاحظات شكلية :

1 ــ كان على الاخ بنيس، وهو يقدم صاحب كتاب (تاريخ الشعر والشعراء بفاس) ان يضيف الى (الشاعر)، الكاتب او الناقد، لانه من جهة بصدد تقديم عمل من اعمال احمد النميشي النثرية النقدية، ومن جهة اخرى لان احمد النميشي لم يشتهر كشاعر كما اشتهر الكثير من انداده الشعراء ممن ترجم لهم القباج، وذلك لاسباب تتعلق بشعره، واخرى تتعلق بتكوينه الثقافي ومؤهلاته الشعرية.

أما شعره فشعر الحقيقة، لا مجال للخيال فيه، وقد تقرأ له قطعا في متنوع الاغراض لا تكاد تجد فيها اثرا للخيال ولا للزخرفة والتنميق كما اعتدناه في اغلب الشعراء، بل يكتفي بتقريب المعنى اليك بلفظ جزل واسلوب جميل»(8).

وهذه الصفات اذا توافرت في شعر، فانهالا تبوئ صاحبه مقاما يؤهله لان ينعت ب (الشاعر) ومن ثم يكون هذا النعت من باب وصف الانسان باضعف شيء فيه.

وربما يكون النميشي نفسه قد احس بقصر باعه في هذا الميدان، وتعارض بضاعته وتكوينه واستعداده مع الفحولة الشعرية التي يتطلع اليها كل شاعر، فانصرف عنه الى النثر.

يقول القباج : «وقد رأيناه هجر الشعر في هذه المدة(9)، منصرفا عنه الى النثر الذي برع فيه براعة جيدة..»(10).

2 ــ ان الاستاذ ابراهيم السولامي يقول في ترجمته : «للنميشي شعر وفير بجريدة (السعادة) التي كان احد كتابها المنتظمين»(11).

والحق انه لم ينشر بجريدة (السعادة) شعرا وفيرا مثل عبد الله القباج ومحمد معمري وياكب وبوعشرين وغيرهم. وان القصائد التي نشرها النميشي بجريدة (السعادة) لا تعد شيئا يستحق ان ينعت به دون غيره من فنون نشاطه الادبي الاخرى كمقالاته وكتاباته الوفيرة والجيدة. يقول القباج دالا على براعة النميشي في النثر في كتابه المتحدث عنه آنفا، وفي : «مقالاته المتعددة التي تعني السعادة بنشرها في افتتاحية بعض اعدادها (12).

أما انه كان احد كتاب (السعادة) المنتظمين، فهذا صحيح، وقد عثرت له على شعر وكتابة ببعض اعداد هذه الجريدة، التي أتيح لي الاطلاع عليها، منذ سنة 1915.

يقول كاتب ترجمة النميشي ب (السعادة) : «وتحتوي جريدة السعادة على صفحات عديدة ضمنها مقالات متنوعة، يوم كان يقوم بمراسلتها من هذه العاصمة الادريسية. وقد كان القراء يتشوقون لنشر مقالاته التي كان يعالج فيها مسائل هامة بقلم سيال وانشاء بديع(13).

ويختم ترجمته للنميشي بهذه العابرة التي تؤيد ما اراه، وهو اشتهار النميشي ونبوغه في الكتابة النثرية، من تأليف وكتب ومقالات ومحاضرات... اكثر من بروزه في نظم الشعر، فيقول ــ والتشديد مني ــ :

«وبالجملة **فالفقيه** النميشي من خيرة **ادباء** هذه الايالة، وان من الخسران البين **للأدب** ان تحجب الوظائف اقمارا لامعة في سمائه»(14).

وكذلك نعته القباج بالأديب(15)، ولم يخصه ب (الشاعر)، مع انه ترجم له كشاعر. وكذا مترجمه بجريدة السعادة.

3 ــ ان الاستاذ ابراهيم السولامي ذكر ان النميشي «ولد بفاس وبها مات في سنة 1967»(16) لا في سنة 1964 كما جاء في تقديم الاخ بنيس(17).

* * *

وفي الختام، اود ان اؤكد ان المجال الطبيعي لابداع احمد النميشي وكتابته هو النثر (مقالة ودراسة ونقدا وتاريخا وفقها). وليس في ذلك اي نيل من قيمته، فلا تفاضل بين الفنون الادبية، كما هو معلوم، وانما في قيمة التجربة الأدبية المعبر عنها، واننا لنسيء الى الشخص، من حيث اننا نريد الاحسان اليه، حين نقحمه في ميدان ليس هو الميدان الذي نبغ فيه، وَبَذّ فيه اقرانه، وحقق فيه ما لم يحققه سابقوه ومعاصروه.

ان الأديب احمد النميشي، الذي يعتبر : «من أول حملة الاقلام بالمغرب»(18)

ليستحق اكثر مما اعطى له من الاعتبار والشهرة، لو اتيح له من يدرسه في مجال تخصصه واجادته واستعداده من خلال مخطوطاته المتوارية في خزائن ورثته او غيرهم، تأكلها الأَرَضَة ، ويطويها النسيان.

وانه ما كان له ان ينال ذلك، وهو نصيب في قسمة ظئزى، لولا مؤلفاته النثرية الوفيرة والمتنوعة المواضيع التي تشهد له بعلو كعبه في الكتابة والتأليف.

وبالاضافة الى كتابه (تاريخ ادوار الشعر والشعراء بفاس) المخطوط، ومختصره (تاريخ الشعر والشعراء بفاس) والعديد من المقالات والافتتاحيات المنشورة بجريدة (السعادة) والمحاضرات الملقاة والمذاعة، يذكر له مترجمه بجريدة (السعادة) كتبا مخطوطة أخرى، يقول :

«كما حرر تأليفا ادبيا ممتعا ضمنه تراجم من نطقوا بكلمات فلقبوا بها، وله تقاييد اخرى ادبية وعلمية وتاريخية، ويعرف من تاريخ فاس ورجالها، وخصوصا ما يتعلق بمسالكها، الشيء الكثير.»(19).

ان تعاطي احمد الشميشي الشعر لا يخرج عن تقليد ادبي عريق يرتبط بالثقافة العربية عامة، فالأديب، بالمفهوم التقليدي، هو الذي يقوى على التعبير، بمختلف فنون القول، او على الاقل بأكثر من فن، وهكذا نجد جل الادباء يستهلون حياتهم الابداعية بقرض الشعر او المزاوجة بين الكتابة والنظم، ثم لا يلبثون ان يكتشفوا المجال الادبي الذي يوافق ميولهم ومواهبهم وثقافتهم وطبيعتهم، وغالبا ما يتخلى غير الموهوبين في الشعر عن معالجته شيئا فشيئا حتى يهجروه مثل : المنفلوطي وطه حسين والمازني واحمد بن خالد الناصري (المؤرخ) وابنيه محمد (فتحا) وجعفر، والغالي الطود وعبد الوهاب بن منصور، ومحمد المكي الناصري ومحمد داود...

وبعضهم اجادوا الشعر والنثر معا، ولكنهم لأسباب ذاتية خاصة او لظروف اجتماعية وسياسية اثروا التفرغ للنثر او قدموه على الشعر مثل : ميخائيل نعمية وجبران ومحمد المختار السوسي وابراهيم الالغي وعلال الفاسي.

ارجوا ان اكون بهذه الاضافة الموجزة، وهذه المناقشة البريئة قد اديت بعض الواجب نحو اديب مغربي لم ينل بعد نصيبه المستحق من العناية والدراسة رغم انه كان من الكتاب المغاربة البارزين خلال العقود الاربعة الأولى من القرن العشرين.

هوامش :

1) ترجمة العلامة الأديب : السيد احمد الشميشي، جريدة (السعادة) 1/5005.
2) نفس المصدر : 2.
3) الثقافة الجديدة، 127/23.

4) السعادة : 2/5005.
5) الأدب العربي في المغرب الاقصى. الرباط ط 1 ــ 1929/1347 م جزآن، ج 78/1.
6) اذا احذنا بالمفهوم الواسع لكلمة المغرب، التي كانت تطلق على المغرب الأقصى وموريتانيا والصحراء المغربية، قبل تمزيق الاستعمار لوحدته، اعترفنا بالسبق لاحمد بن الأمين الشنجيطي بكتابه (الوسيط في تراجم ادباء شنجيط) الذي طبع بالقاهرة في سنة 1329/1911.
7) كما أن كتاب القباج سيكون، بلا ريب، حافزا ل (صالح ابو رزق)، وهو احد كتاب (السعادة) وشعرائها، الى التفكير في القاء محاضرة ضمن المحاضرات التي كانت تنظمها جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا، في موضوع (الشعر العصري في المغرب الاقصى)، ونشر نداء بجريدة (السعادة) سنة 1935، يدعو فيه مجموعة من الشعراء المعاصرين المغاربة الى امداده بشيء من قصائدهم ليعتمدها في محاضرته.
8) الأدب العربي في المغرب الأقصى، 77/1.
9) الحق انه لم يهجر الشعر بصفة نهائية، فقد نشر بعض شعره بجريدة (السعادة) سنة 193.
10) الأدب العربي في المغرب الاقصى 77/1، 78.
11) الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية (1912 ــ 1956)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح 1974 : 264.
12) الأدب العربي في المغرب الأقصى، 78/1.
13) السعادة 2/5005.
14) نفس المصدر والصفحة.
15) الأدب العربي في المغرب الاقصى 77.76/1.
16) الشعر الوطني المغربي : 264.
17) الثقافة الجديدة، 127/23.
18) دليل مؤرخ المغرب الأقصى عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري الدار البيضاء، دار الكتاب ط 2، 1960، جزآن، ج39/1.
19) السعادة، 2/5005.